السنة الثانية عشرة

مسير خالد إلى العراق :

ولما دخلت السنة الثانية من خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وهي سنة اثنتي عشرة من الهجرة : كتب إلى خالد : «إذا فرغت من اليمامة ، فسر إلى العراق ، فقد وليتك حرب فارس» .

فسار إليه في بضعة وثلاثين ألفاً . فصالح أهل السواد ثم سار إلى الأُبُلَّة وخرج كسرى في مائة وعشرين ألفا فالتقى مع خالد ، فهزم الله المشركين من الفرس . وكتب خالد إلى كسرى «أما بعد ، فأسلموا تسلموا ، وإلاّ فأدوا الجزية ، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة» فصالحوه .

وفيها حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس ، ثم رجع إلى المدينة .

حوادث السنة الثالثة عشرة :

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة .

فبعث أبو بكر رضي الله عنه الجنود إلى الشام . وأَمّر عليهم يزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيد ة عامر بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص . ونزلت الروم بأعلى فِلِسْطين في سبعين ألفاً .

فكتبوا إلى أبي بكر يخبرونه ويستمدونه . فأمر خالداً -وهو بالحيرة- أن يُمِدَّ أهل الشام بمن معه من أهل القوة ، ويستخلف على ضعفة الناس رجلا منهم .

فسار خالد بأهل القوة ، ورد الضعفة إلى المدينة .

واستخلف على من أسلم بالعراق : المثَنّى بن حارثة .

وسار حتى وصل إلى الشام ، ففتحوا بُصْرَى . وهي أول مدينة فتحت .

ثم اجتمع المشركون من الروم ، فانحاز المسلمون إلى أجنادين ، فكانت الوقعة المشهورة ، وكان النصر للمسلمين .

موت الصديق رضي الله عنه :

وفي هذه السنة : مات الصديق ، ليلة الثلاثاء ، لسبع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة .

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر ، واثنتين وعشرين ليلة .

واستخلف على الناس عمر بن الخطاب . وقال : «اللهم إني وَلّيتهم خيرهم ، ولم أرد بذلك إلا إصلاحهم ، ولم أرد محاباة عمر . فَاخْلُفني فيهم . فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم وَالِيَهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، يتبع هدي نبيه ﷺ . وأصلح له رعيته» .

ثم دعاه . فقال : «يا عمر ، إن لله حقاً في الليل لا يقبله في النهار ، وحقاً في النهار لا يقبله في الليل . وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة . وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه : باتباعهم الحق ، وثقله عليهم . وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه غير الحق غداً أن يكون ثقيلا . فإذا حفظت وصيتي ، لم يكن غائب أحبَّ إليك من الموت . وهو نازل بك . وإن ضيعتها ، فلا غائب أكره إليك منه ، ولست تُعْجِزه» .

وورث منه أبوه أبو قحافة السدس .

ولما ورد كتاب أبي بكر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد باستخلاف عمر بايعوه .

ثم ساروا إلى «فحل» بناحية الأرْدُن . وقد اجتمع بها الروم . فكانت وقعة «فَحْل» المشهورة ، ونصر الله المسلمين . وانحاز المشركون إلى دِمَشق .

حوادث السنة الرابعة عشرة :

ثم دخلت السنة الرابعة عشرة :

وفيها : ساروا إلى دمشق وعليهم خالد . فأتى كتاب عمر رضي الله عنه بعزل خالد ، وتأمير أبي عبيدة بن الجراح .

وفيها : أمر عمر بصلاة التراويح جماعة . وقدم جرير بن عبد الله في ركب من بجيلة ، فأشار عليه عمر بالخروج إلى العراق . فسار بهم جرير إلى العراق . فلما قرب من المثنى بن حارثة ، كتب إليه : «أقبل ، فإنما أنت مَدَدٌ لي» .

فقال جرير : أنت أمير ، وأنا أمير . ثم اجتمعا . فكانت وقعة البُوَيْب المشهورة .

ثم إن عمر أَمّر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على العراق ، وكتب له وأوصاه . فقال : «يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله ﷺ وصاحبه . فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ . ولكن يمحو السيئ بالحسن . وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته . فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء . الله ربهم وهم عباده . يتفاضلون بالعافية . ويدركون ما عند الله بالطاعة . فانظر الأمر الذي رأيت عليه

رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا . فالزمه . فإنه الأمر» وكتب إلى المثنى وجرير : أن يجتمعا إليه . فسار سعد بمن معه . فنزل بشراف ، واجتمع إليه الناس .

حوادث السنة الخامسة عشرة :

ثم دخلت السنة الخامسة عشرة .

فتح القادسية :

فلما انحسر الشتاء سار سعد إلى القادسية ، وكتب إلى عمر يستمده . فبعث إليه المغيرة بن شعبة ، في جيش من أهل المدينة . وكتب إلى أبي عبيدة : أن يمده بألف .

وسمع بذلك رُسْتم بن الفرخزاد . فخرج بنفسه في مائة وعشرين ألفاً ، سوى التبع والرقيق ، حتى نزل القادسية . وبينه وبين المسلمين جسر القادسية ، وقيل : كانوا ثلاثمائة ألف ، ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلا . واجتمع المسلمون حتى صاروا ثلاثين ألفاً . فكانت وقعة القادسية المشهورة التي نصر الله فيها المسلمين . وهزم المشركين .

فلما هزم الله الفرس ، كتب عمر إلى سعد : «أن أَعِدَّ للمسلمين دار هجرة . وإنه لا يصلح للعرب إلا حيث يصلح للبعير والشاه ، وفي منابت العشب . فانظر فلاة إلى جانب بحر» .

فبعث سعد عثمان بن حنيف ، فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم ، فنزلها سعد بالناس . ثم كتب عمر إلى سعد : «أن ابعث إلى أرض الهند -يريد البصرة- جنداً ، فلينزلوها» .

فبعث إليها عتبة بن غَزوان في ثلاثمائة رجل حتى نزلها . وهو الذي بَصَّر البصرة .

وفي هذه السنة : كانت وقعة اليَرْمُوك المشهورة بالشام .

وخرج عمر إلى الشام ، ونزل الجابية . فصالح نصارى بيت المقدس -وكانوا قد أبوا أن يجيبوا إلى الصلح مع أبي عبيدة ، حتى يكون عمر يعقدون الصلح معه- فصالحهم . واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث . واجتمع إليه أمراء الأجناد .

فلما رجع إلى المدينة وضع الديوان . فأعطى العطايا على مقدار السابقة . فبدأ بالعباس ، حُرْمَةً لرسول الله ﷺ . ثم بالأقرب فالأقرب .

حوادث السنة السادسة عشرة :

ثم دخلت السنة السادسة عشرة .

فيها كتب عمر التاريخ . واستشار الصحابة في مبدئه . فمنهم مَنْ قال : نبدأ من بَدْء النبوة ، ومنهم من قال : من الوفاة ، ومنهم مَنْ قال : من الهجرة . فجعله عمر من الهجرة .

حوادث السنة السابعة عشرة :

ثم دخلت السنة السابعة عشرة :

فكان فيها فتوح كثيرة شرقاً وغرباً .

وفيها فُتِحَت تُسْتَر ، التي وجد فيها جسد دانيال عليه السلام . وكان المشركون يستسقون به .

وفيها : تزوج عمر أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، طلباً لصهر رسول الله ﷺ .

حوادث السنة الثامنة عشرة :

ثم دخلت السنة الثامنة عشرة :

فيها : أصاب الناس مجاعة شديدة ، وتسمى عام الرمادة ، لكثرة ما هلك فيها من الناس والبهائم جوعاً . فاستسقى عمر بالناس . وسأل العباس أن يدعو الله . ويؤمن عمر والناس على دعائه . فأزال الله القحط .

وفيها وقع طاعون عِمْواس بالشام ، وقد هلك فيه خمسة وعشرون ألفاً .

ومات فيه أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم .

فلما بلغ عمر موتهم : أَمّر على الشام معاوية بن أبي سفيان .

حوادث السنة التاسعة عشرة :

ثم دخلت السنة التاسعة عشرة :

فتح فيها فتوح كثيرة شرقاً وغرباً .

حوادث السنة العشرين :

ثم دخلت السنة العشرون :

وفيها : فتحت مصر والإسكندرية .

وفيها : أجلى عمر رضي الله عنه اليهود من الحجاز إلى أذرعات وغيرها .

حوادث السنة الحادية والعشرين :

ثم دخلت السنة الحادية والعشرون :

وفيها كان فتح نَهاوَنْد ، وأميرها النعمان بن مُقَرِّن ، وقتل يومئذ .

وفيها : مات خالد بن الوليد رضي الله عنه بحمص .

وفيها : مات عمرو بن معدي كرب ، وطليحة بن خويلد الأسدي -الذي كان تنبأ . ثم أسلم وحسن إسلامه ، وأبلى في قتال الفرس بلاء حسناً- قتلا مع النعمان بن مقرن بنهاوند .

حوادث السنة الثانية والعشرين :

ثم دخلت السنة الثانية والعشرون :

وفيها : دخل الأحنف بن قيس خُراسان ، وحارب يَزْدَجِرْد آخر ملوك الفرس . فهزمه الله فيها .

وفيها : اعتمر عمر . فتلقاه نافع بن الحارث . وكان عامله على مكة ، فقال له عمر : من خلّفت؟ قال : ابن أَبْزَى ، قال عمر : ومن أَبْزَى؟ قال : مولى لنا . قال : ومولى أيضاً؟ قال : إنه قارئ للقرآن ، عالم بالفرائض . فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ، ويضع به آخرين» .

حوادث السنة الثالثة والعشرين :

ثم دخلت السنة الثالثة والعشرون :

وفيها : قُتل عمر رضي الله عنه . في صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع

ليال بقين من ذي الحجة . ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين .

ولما رجع من الحج في آخرها قام خطيباً . فقال : «إني رأيت كأن ديكاً أحمر نَقَرَني نَقْرتين أو ثلاثاً ، ولا أرى في ذلك إلا حضور أجلي» .

ثم خرج إلى السوق ، فلقيه أبو لؤلؤة المجوسي ، غلام المغيرة بن شعبة ، وكان صانعاً يعمل الأرحاء . فقال له : ألا تُكَلِّم مولاي يضع عني من خراجي؟ قال : وكم خراجك؟ قال : دينار . قال : إنك لعامل محسن ، فقال : وسعَ الناسَ عَدْلُك وضاق بي ، وأضمر قتل عمر . فاصطنع له خنجراً ذا حدين وشحذه وسمّه . ثم أتى به الهرمزان . فقال : كيف ترى هذا؟ قال : أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتله .

فلما كَبّر عمر رضي الله عنه في صلاة الصبح ، طعنه ثلاث طعنات وقصة مقتله في الصحيحين .

وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال أو خمس ، وبموته انفتح باب الفتنة إلى اليوم .

وقال عبد الله بن سلام لعمر رضي الله عنهما : إني أرى في التوراة : أنك باب من أبواب جهنم ، قال : فَسِّرْ لي قال : أنت باب من أبوابها مغلقاً ، لئلا يقتحمها الناس فإذا مت انفتح .

وفتح الله على يديه من بلاد الكفار ألفاً وستاً وثلاثين مدينة ، وخَرَّب أربعة آلاف بيعة وكنيسة . وبنى أربعة آلاف مسجد . ودَوَّن الدواوين ، ومَصَّر الأمصار . ووضع الخراج ، وأرخ التاريخ .

وله الفضائل المشهورة ، والسوابق المأثورة . رحمه الله ورضي عنه .

حوادث سنة أربع وعشرين :

ثم دخلت السنة الرابعة والعشرون :

فاستخلف فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لغُرَّة هلال المحرم -أو لثلاث من المحرم- بعد دفن عمر بثلاثة أيام .

أسلم قديماً . وكان من ذوي السابقة ، ومن ذوي الشرف والعلم . هاجر الهجرتين . وصلى القبلتين . وزوَّجَه رسولُ الله ﷺ الابنتين . ولم ينكح ابنتي نبي من آدم إلى قيام الساعة غيره . وكان رسول الله ﷺ يقدمه ويستحي منه ، ويقول : «مالي لا أستحي ممن تستحي منه ملائكة السماء؟» .

وفي هذه السنة : توفي سُراقة بن مالك ، وأم الفضل زوجة العباس ، وأم أيمن بَركة مولاة رسول الله ﷺ . ورضي الله عنهم .

حوادث سنة خمس وعشرين :

ثم دخلت السنة الخامسة والعشرون :

فتوفي فيها عبد الله بن أم مكتوم المؤذن ، وعمير بن وهب بن خلف الجمحي ، الذي حزر المسلمين يوم بدر . ثم تعاهد هو وصفوان بن خلف الجمحي على اغتيال رسول الله ﷺ . فذهب إلى المدينة ، بدعوى افتداء ابنه وهب الذي كان أُسر يوم بدر . فلما دخل على رسول الله ﷺ قص عليه رسول الله ما تعاهد هو وصفوان عليه . فشهد شهادة الحق وأسلم .

وفيها توفي عروة بن حزام العاشق .

حوادث سنة ست وعشرين :

ثم دخلت السنة السادسة والعشرون .

وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ، ومعه العبادلة -عبد الله بن نافع بن قيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين ، وعبد الله بن الزبير- فلقي جرجس ملك البربر في مائتي ألف . فقتل جرجس ، قتله عبد الله ابن الزبير . وفتح الله على المسلمين .

وفيها : مات خارجة بن زيد الأنصاري الذي تكلم بعد الموت . وكان من كلامه : خلت ليلتان . وبقيت أربع ، بئر أريس ، وما بئر أريس؟ .

وفيها اعتمر عثمان ، فكلمه أهل مكة أن يحول الساحل إلى جدة . وقالوا : هي أقرب إلى مكة وأوسع . وكانوا يُرْسون قبل ذلك في الشُّعَيبة(*) . فخرج عثمان إلى جُدة فرآها ، وحول الساحل إليها .

حوادث سنة سبع وعشرين :

ثم دخلت السنة السابعة والعشرون .

وفيها -على قول ابن جرير- كان فتح أفريقية والأندلس على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

وفيها : عزل عثمان رضي الله عنه عمرو بن العاص عن مصر ، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

وفيها : مات عبد الله بن كعب بن عمرو رضي الله عنه . وكان من أهل بدر .

(*) قرية كانت على ساحل بحر الحجاز من طريق اليمن .

حوادث سنة ثمان وعشرين :

ثم دخلت السنة الثامنة والعشرون .

فيها غزا معاوية بن أبي سفيان البحر ، ومعه عبادة بن الصامت ، وامرأته أم حرام بنت ملحان -أخت أم سليم- فسقطت عن دابة لها فهلكت . وهي التي نام رسول الله ﷺ في بيتها وقت قيلولة . فاستيقظ وهو يضحك ، فسألته؟ فقال : «ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله ، يركبون ثَبَج البحر ، ملوكاً على الأسرة -أو كالملوك على الأسرة- فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت منهم . ثم نام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، فسألته؟ فقال مثل قوله . فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت من الأولين» .

وفيها : غزا معاوية قبرس . فصالحه أهلها .

حوادث سنة تسع وعشرين :

ثم دخلت السنة التاسعة والعشرون .

فيها : شكى الناس إلى عثمان رضي الله عنه ضيق مسجد رسول الله ﷺ ، فأمر بتوسعته ، وبناه بالحجارة المنقوشة ، والقصة -وهي الجص- وفيها وسع المسجد الحرام كذلك .

وفيها : مات سليمان بن ربيعة الباهلي رضي الله عنه . وكان عمر رضي الله عنه ولاه قضاء المدائن ، فمكث أربعين يوماً لم يختصم إليه اثنان .

حوادث سنة ثلاثين :

ثم دخلت سنة ثلاثين .

وفيها وقع خاتم رسول الله من يد عثمان بن عفان رضي الله عنه في بئر أريس، فنُزحت ولم يوجد. فحزن لذلك أشد الحزن. فوقع من الرعية الخلل على عثمان بعدها.

وفيها: غزا سعيد بن العاص من الكوفة خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان، والحسن، والحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

وفيها: كان ما كان من أمر أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه، وشدة إنكاره على معاوية وأهل الشام في الاستمتاع بما أنعم الله عليهم، والتوسع فيما أباح لهم، وأفاء عليهم من الأموال. وأنه يرى: أن لا يبيت أحد من المسلمين وعنده درهم ولا دينار وإلا كان من الذين يكنزون الذهب والفضة.

فكتب معاوية في شأنه إلى عثمان. فكتب عثمان بإشخاص أبي ذرّ إلى المدينة، ومحاولة بعض دعاة الفتنة الالتفاف حول أبي ذر. فهرب منهم إلى الربذة بإذن عثمان وفي طاعته. وأقام بها حتى مات رضي الله عنه.

وفيها: زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء حين كثر الناس. فثبت الأمر على ذلك إلى اليوم. والزوراء دار كانت له بالمدينة.

وفيها مات أُبَيٌّ بن كعب: سيد القراء، وأحد القراء الأربعة.

حوادث سنة إحدى وثلاثين:

ثم دخلت السنة الحادية والثلاثون.

وفيها : قتل يزدجرد آخر ملوك الفرس ، وهو الذي مزق سَلَفُه كتاب رسول الله ﷺ الذي دعاه فيه إلى الإسلام . فدعا عليه أن يمزق الله ملكه .

وفيها : فتح حبيب بن مسلمة الفهري أرمينية .

وقال الواقدي : كان في هذه السنة غزوة الصواري في البحر . وكان فيها : محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر . فأظهرا عيب عثمان وما غَيّر وما خالف أبا بكر وعمر . ويقولان : دمه حلال .

حوادث سنة اثنتين وثلاثين :

ثم دخلت السنة الثانية والثلاثون(*) .

فيها غزا معاوية بلاد الروم ، حتى بلغ مضيق القسطنطينية .

وفيها : مات عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري -جندب بن جنادة- والعباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن حرب . رضي الله عنهم .

حوادث سنة ثلاث وثلاثين :

ثم دخلت السنة الثالثة والثلاثون .

وفيها : ذكر أهل العراق عثمان بالسوء ، وتكلموا فيه بكلام خبيث في مجلس سعيد بن عامر . فكتب في أمرهم إلى عثمان . فكتب يأمره بإجلائهم إلى الشام . فلما قدموا على معاوية أكرمهم وتألفهم . ونصحهم . فأجابه متكلمهم بكلام فيه شناعة . ثم نصحهم فتمادوا في غيهم

(*) سقطت السنة الأولى بعد الثلاثين من الأصل . فكملتها من تاريخ ابن جرير والبداية والنهاية .

وجهالتهم وشرهم . فنفاهم معاوية عن الشام . وكانوا عشرة : كميل بن زياد ، والأشتر النخعي -مالك بن يزيد- وعلقمة بن قيس النخعي ، وثابت ابن قيس النخعي ، وجندب بن زهير العامري ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وصعصعة بن صوحان ، وأخوه زيد بن صوحان ، وابن الكَوَّاء . فأووا إلى الجزيرة . واستقروا بحمص حتى كانت الفتنة التي قادوها لقتل عثمان .

وفيها : مات المقداد بن عمرو رضي الله عنه .

حوادث سنة أربع وثلاثين :

ثم دخلت السنة الرابعة والثلاثون :

فيها : تكاتب المنحرفون عن عثمان -وكان جمهورهم من أهل الكوفة- وتواعدوا أن يجتمعوا لمناظرته فيما نقموا عليه . فبعثوا إليه منهم من يناظره فيما فعل من تولية من ولى وعزل من عزل . حتى شق عليه ذلك جداً . فبعث إلى أمراء الأجناد ، فأحضرهم عنده . واستشارهم . فكل أشار برأي ، ثم انتهى الأمر بأن قرر عماله على ما كانوا عليه . وتألف قلوب هؤلاء . وأمر بهم أن يبعثوا إلى الغزو وإلى الثغور . فلم يمنعهم ذلك من التمادي في غيهم .

وفيها : توفي أبو طلحة الأنصاري ، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما

حوادث سنة خمس وثلاثين :

ثم دخلت السنة الخامسة والثلاثون .

وفيها : مات من الصحابة عمار بن ربيعة ، أسلم قديماً وشهد بدراً رضي الله عنه .

وفيها : كان خروج جماعة من أهل مصر ومن وافقهم على عثمان . وأصل الفتنة ومنبعها : كان من عبد الله بن سبأ -رجل يهودي من أهل صنعاء ، أظهر الإسلام ليخفي به حقده عليه وكفره به في زمن عثمان- وكان ينتقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم . فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام . فلم يقدر على ما يريد . فأخرجوه حتى أتى مصر . فغمز على عثمان ، وقاد الفتنة . وأشعل نارها ، محادة لله ولرسوله ، حتى كانت البلية الكبرى بمحاصرة عثمان رضي الله عنه ، واغتياله ، وهو يتلو كتاب الله تعالى . وكان بيد أولئك المجرمين الخوارج في ذي الحجة من هذه السنة رضي الله عنه .

وبقتله وقعت الفتنة العظيمة التي أخبر بها رسول الله ﷺ ، والناس في بقايا من شرها إلى اليوم .

ويروى : أن عثمان رضي الله عنه صلى في الليلة التي حوصر فيها ونام ، فأتاه آت في منامه ، فقال له : قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالحي عباده . فقام فصلى ، ودعاه . فاشتكى ، فما خرج إلا جنازته .

قال أهل السير : لما كان من أمر عثمان ما كان ، قعد علي بن أبي طالب في بيته ، فأتاه الناس ، وهم يقولون : علي أمير المؤمنين . فقال : ليس ذلك إليكم ، إ نما هو إلى أهل بدر . فأتاه أهل بدر . فلما رأى ذلك علي خرج فبايعه الناس . ولم يدخل في طاعته معاوية وأهل الشام ، فَهَمَّ علي بالشخوص إليهم(*) .

(*) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في =

وقعة الجمل :

وبلغ الخبر عائشة -وهي حاجّةٌ- ومعها طلحة ، والزبير . فخرجوا إلى البصرة يريدون الإصلاح بين الناس ، واجتماع الكلمة . وأرسل علي عمار ابن ياسر وابنه الحسن بن علي إلى الكوفة يستنفرون الناس ليكونوا مع علي ، فاستنفروهم ، فنفروا . وخرج علي من المدينة في ستمائة رجل . فالتقى -هو والحسن- بذي قار ، ثم التقوا -هم وطلحة والزبير- قرب البصرة . وكان في العسكرين ناس من الخوارج . فخافوا من تمالُؤِ العسكرين عليهم . فتحيلوا حتى أثاروا الحرب بينهما من غير رأي . فكانت وقعة الجمل المشهورة . لأن عائشة كانت في هودج ، على جمل . وعُقر الجمل ذلك اليوم . فأمر علي بحمل الهودج ، فحمله محمد بن أبي بكر ، وعمار ابن ياسر . فأدخل محمد يده في الهودج ، فقالت من ذا الذي يتعرض لحرم رسول الله ﷺ ؟ أحرقه الله بالنار . فقال : يا أختاه ، قولي بنار الدنيا . فقالت : بنار الدنيا ، فكان الأمر كذلك .

وكانت وقعة الجمل في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين .

ثم التقى علي وعائشة . فاعتذر كل منهما للآخر . ثم جهزها إلى

= آخر ترجمة عثمان رضي الله عنه وفضائله : الذين قتلوه ، أو ألبوا عليه : قتلوا إلى عفو الله ورحمته . والذين خذلوه : خذلوا ، وتنغص عيشهم . وكان الملك بعده في نائبه معاوية وبنيه . ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته ، استطالوا حياته وملوه ، مع فضله وسوابقه . فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعاً وثمانين سنة . فالحكم لله العلي الكبير . هذا لفظ الذهبي بحروفه .

المدينة . وأمر لها بكل شيء ينبغي لها . وأرسل معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات .

وفي هذه السنة : مات حذيفة بن اليمان ، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ ، وقدامة بن مظعون رضي الله عنهم .

حوادث سنة سبع وثلاثين :

ثم دخلت السنة السابعة والثلاثون .

فسار علي رضي الله عنه ، والتقى هو وأهل الشام بصفين ، لسبع بقين من المحرم -وصِفِّين اسم موضع بين الشام والعراق- فكانت به الواقعة المشهورة . فلما اشتد البلاء على الفريقين ، وطال أياماً ، وكثر القتل بينهم : رفع أهل الشام المصاحف على رؤوس الرماح ، ونادوا : «ندعوكم إلى كتاب الله» فَسُرَّ الناس ؛ وأنابوا إلى الحكومة .

فحكّم أهلُ الشام عمرو بن العاص . وحكم عليٌّ بن أبي طالب أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما . وكتبوا بينهم العهود بالرضى بما يحكم به الحكمان . فلما حل الموعد في رمضان توافوا بأذرح ، بدومة الجَنْدَل . فلم يتفق الحكمان على شيء .

وانصرف علي رضي اللهعنه إلى العراق ، ومعاوية رضي الله عنه إلى الشام .

فلما وصل علي الكوفة خرجت عليه الخوارج ؛ وكَفّروه حيث رضي بالتحكيم . وقالوا : لا حُكْم إلا لله . واجتمعوا بحَرُوراء -اسم موضع

بالعراق- فسُموا الحَرورية ، فأرسل علي إليهم عبد الله بن عباس فأتاهم . قال : «فلم أر قوماً أشد اجتهاداً منهم ؛ ولا أكثر عبادة» فقال : ما تنقمون؟ قالوا : ثلاث .

إحداهن : أنه حكّم الرجال في أمر الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ الآية(١) .

والثانية : أنه قاتل ، ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم . فإن كانوا مؤمنين ، فما حَلَّ لنا قتالهم ؛ وإن كانوا كافرين . فقد حلت لنا أموالهم وسبيهم .

والثالثة : أنه مَحا نفسه من أمير المؤمنين . فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

فقال لهم : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله الحكم ، وحدثتكم من سنة نبيكم ما لا تنكرون ، أترجعون؟ قالوا : نعم .

فقلت : أما قولكم : إنه حكّم الرجال في دين الله ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾(٣) أنْشُدُكم الله ، أفتحكيم الرجال في إصلاح ذات بينهم ، وحقن دمائهم وأموالهم أحَقُّ ، أم في أرنب ثمنها ربع درهم ، أو بُضْع امرأة؟ فقالوا : اللهم بلى ، في حقن دمائهم ، وإصلاح ذات بينهم . فقلت : أخرجت من هذه؟ فقالوا : اللهم نعم .

---

(١) من الآية ٥٧ من سورة الأنعام .

(٢) من الآية ٩٥ من سورة المائدة .

(٣) من الآية ٣٥ سورة النساء .

وأما قولكم : إنه قاتَلَ ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم ، أَفَتَسْبُون أُمّكم ، وتستحلون منها ما تستحلونه من غيرها؟ فإن قلتم : نعم ، فقد كفرتم . وإن زعمتم أنها ليست لكم بأُم ، فقد كفرتم . لأن الله يقول : ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾(١) فإن كنتم تترددون بين ضلالتين ، فاختاروا أيتهما شئتم . أخرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم : إنه محا نفسه من «أمير المؤمنين» فإن النبي ﷺ -يوم الحديبية- أراد أن يكتب بينه وبين قريش في الصلح فقال لعلي : «اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقالوا : لو نعلم أنك رسول الله ، ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال : امْحُ يا علي . واكتب ؛ محمد بن عبد الله . فقال : والله لا أمحوك أبداً . قال : فأرني موضعه ، فأراه ذلك . فمحاه رسول الله ﷺ بيده» فو الله لرسول الله ﷺ أفضل من عليّ . أخرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم» .

فرجع منهم أربعة آلاف . وخرج عليه باقيهم . فقاتلوه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . وأمر بالتماس المُخَدَّج ذي الثُّدَيّة . فلما وجده سجد لله شكراً .

وفي هذه السنة مات خَبّاب بن الأَرَتّ ، وخزيمة ذو الشهادتين ، وسفينة مولى رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنهم .

حوادث سنة ثمان وثلاثين :

ثم دخلت السنة الثامنة والثلاثون :

فيها : قتل محمد بن أبي بكر وأحرق .

---

(٣) من الآية ٦ من سورة الأحزاب .

وفيها : مات سهل بن حُنيف ، وصهيب الرومي .

حوادث سنة أربعين(*) :

وفيها : كتب معاوية إلى عليّ : «أما إذا شئت فلك العراق . ولي الشام ونكف السيف عن هذه الأمة . ولا نهريق دماء المسلمين» ففعل . وتراضيا رضي الله عنهما على ذلك .

وفيها : قتل عليّ رضي الله عنه . قتله ابن ملجم -رجل من الخوارج- لمّا خرج لصلاة الصبح ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان .

فبايع الناس ابنه الحسن . فبقي خليفة نحو سبعة أشهر . ثم سار إلى معاوية . فلما التقى الجمعان ، علم الحسن : أن لن تَغْلِب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى . فصالح معاوية . وترك الأمر له ، وبايعه على أشياء اشترطها . فأعطاه معاوية إيّاها وأضعافها .

وجرى مصداق ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال في الحسن : «إن ابني هذا سيد . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» .

وصح عنه أنه قال في الخوارج : «يخرجون على حين فرقة بين الناس ، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق» .

وصح عنه ﷺ في أحاديث كثيرة : أنه نهى عن القتال في الفتنة . وأخبر ﷺ بوقوعها ، وحذر منها .

فحصل بمجموع ما ذكرنا : أن الصواب مع سعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وأُسامة بن زيد ، وأكثر الصحابة الذين قعدوا واعتزلوا الطائفتين .

(*) سقطت السنة التاسعة والثلاثون .

وأن علي بن أبي طالب وأصحابه : أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه . وأن الفريقين كلهم لم يخرجوا من الإيمان .

وأن الذين خرجوا من الإيمان : إنما هم أهل النهروان .

وأن ما فعل الحسن بن علي رضي الله عنهما : أحب إلى الله مما فعل أبوه علي . لأن رسول الله ﷺ لا يمدحه على ترك واجب ، أو مستحب .

وأجمع أهل السنة على السكوت عما شَجَر بين الصحابة رضي الله عنهم : ولا يقال فيهم إلا الحسنى . فمن تكلم في معاوية أو غيره من الصحابة فقد خرج عن الإجماع . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكان هذا العام يسمى عام الجماعة ، لاجتماع المسلمين فيه على إمام واحد ، بعد الفرقة . وهو عام إحدى وأربعين في ربيع الأول . فاجتمعوا على معاوية رضي الله عنه ، ودُعي من يومئذ أمير المؤمنين . ورجع الحسن ابن علي رضي الله عنهما إلى المدينة .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين :

فيها مات عمرو بن العاص رضي الله عنه بمصر ، وهو واليها .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين :

فيها مات عبد الله بن سلام رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين :

فماتت فيها أم حبيبة بنت أبي سفيان ، أم المؤمنين رضي الله عنهما .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين :

فماتت فيها حفصة بنت عمر ، أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين :

فمات فيها محمد بن مسلمة . رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين :

فمات فيها قيس بن عاصم رضي الله عنه .

حوادث سنة تسع وأربعين :

ثم دخلت سنة تسع وأربعين :

وفيها : كانت غزوة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الروم ، حتى بلغ قسطنطينية . ومعه ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبو أيوب الأنصاري .

وفيها : مات الحسن بن علي ، وجويرية بنت الحارث أم المؤمنين ، وصفية بنت حُيَيٍّ أم المؤمنين ، وجبير بن مطعم ، وحسان بن ثابت ، ودحية بن خليفة الكلبي ، وكعب بن مالك ، وعمرو بن أمية الضمري ، وعقيل بن أبي طالب ، وعتبان بن مالك ، والمغيرة بن شعبة . رضي الله عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين :

فمات فيها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وجرير بن عبد الله البجلي . رضي الله عنهم .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين :

فمات فيها أبو أيوب زيد بن خالد الأنصاري غازياً ، ودفن عند سور القسطنطينية ، وكان النصارى يستسقون بقبره رضي الله عنه . وبرأه الله من عقائد النصارى . ومات بها أبو موسى الأشعري ، وعمران بن حصين رضي الله عنهما .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين :

فمات فيها صعصعة بن ناجية الصحابي ، الذي يقال : إنه أحيا أربعمائة موءُودة في الجاهلية ، وزياد بن سمية رضي الله عنهم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين :

فماتت فيها سودة بنت زمعة أُم المؤمنين ، وأبو قتادة الأنصاري ، وحكيم ابن حزام رضي الله عنهم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين :

فمات فيها سعد بن مالك ، والأرقم بن أبي الأرقم -الذي كان رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام مختبئاً في داره- وسحبان وائل ، البليغ الذي يضرب به المثل في الفصاحة .

ثم دخلت سنة ست وخمسين :

فدعا فيها معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد .

ثم حوادث سنة سبع وخمسين :

فمات فيها عثمان بن حنيف رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين :

فمات فيها سعيد بن العاص -أحد الأجواد السبعة- وعبد الرحمن ابن أبي بكر ، وعبد الله بن عباس -أحد الأجواد السبعة رضي الله عنهم .

حوادث سنة ستين :

ثم دخلت سنة ستين :

فمات فيها معاوية بن أبي سفيان . وصح أن أبا هريرة مات قبلها بسنة ، وأنه كان يقول : «اللهم إني أعوذ بك من رأس الستين ، وإمارة الصبيان» .

واستخلف معاوية ابنه يزيد ، فجرت الفتنة الثانية . ولم تزل الفتنة قائمة سنين ، حتى اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان .

فأول ما جرى في أيام يزيد : مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وأهل بيته في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين .

ثم بعدها : جرت وقعة الحَرَّة العظيمة بالمدينة ، قتلوا أهلها . وأباحوها ثلاثة أيام .

ثم بعد ذلك : توجهوا إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما . فحاصروها . فلم يزالوا محاصريها حتى بلغهم موت يزيد . فلما مات يزيد افترق الناس افتراقاً كثيراً كما قيل :

وتشعبوا شعباً بكل جزيرة فيها أمير المؤمنين ومنبر

وثبت مروان بالشام ، وخرج المختار بن أبي عبيد الثقفي المبير المفسد بالعراق ، ونجدة بن عويمر باليمامة .

والمشهور بأمير المؤمنين في هذه السنين : عبد الله بن الزبير بمكة . وبايع

له أكثر الناس .

فلما مات مروان تولى بعده ابنه عبد الملك سنة خمس و ستين .

ولما تولى تصدى لحرب عبد الله بن الزبير . فجرى بينهما ما يطول ذكره ، وآخره : أنه وجّه لقتال ابن الزبير جيشاً عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، فحصره بمكة ، ثم قتله رضي الله عنه ، سنة ثلاث وسبعين .

فاجتمع الناس بعده على عبد الملك بن مروان . فلم يزل والياً كذلك إلى سنة ست وثمانين . فمات واستخلف ولده الوليد . فبقي في الخلافة سبع سنين وأشهراً .

وفي أيامه مات أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحجاج بن يوسف . ثم ولي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك . فبقي سنتين وأشهراً .

واستخلف عمر بن عبد العزيز . فبايعه الناس سنة تسع وتسعين في صفر .

فسار رحمه الله سيرة الخلفاء الراشدين . وأحيا السنن وأمات البدع . وبقي في الخلافة رشيداً مهدياً سنتين وأشهراً ، ومات في رجب سنة إحدى ومائة .

ومات في أيامه ابنه عبد الملك . وكان يشبه أباه رحمهما الله .

ثم تولى بعده : يزيد بن عبد الملك . فبقي أربع سنين وشهراً واحداً وتوفي سنة خمس ومائة .

ثم تولى بعده : أخوه هشام بن عبد الملك . فبقي تسع عشرة سنة وأشهراً .

وفي خلافته ظهر الجعد بن درهم ، أول من قال بخلق القرآن . وأظهره في دمشق . فطلبه بنو أمية . فهرب منهم إلى الكوفة . فلما أظهر قوله هناك : أخذه خالد بن عبد الله القسري . قتله يوم عيد الأضحى من سنة أربع وعشرين ومائة . خطب الناس ، فقال : أيها الناس ضحوا . تقبل الله ضحاياكم . فإني مضح بالجعد بن درهم . إنه زعم : أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً . ولم يكلم موسى تكليماً . تعالى الله عما قال الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبحه في أصل المنبر .

وتوفي هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة .

ثم تولى بعده : ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فبقي سنة أو أقل أو أكثر . ثم قتل سنة ست وعشرين ومائة .

ثم تولى بعده : ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك . فبقي خمسة أشهر وتوفي في ذي القعدة -أو في أول ذي الحجة- من سنة ست وعشرين ومائة .

وبعده انقضت الخلافة التامة . ولم تجتمع الأمة بعده على إمام واحد إلى اليوم . وهو آخر الخلفاء الاثني عشر ، الذين ذكرهم النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «لا يزال أمر هذه الأمة عزيزاً ، ينصرون على من ناوأهم إلى اثني عشر خليفة . كلهم من قريش» .

وفي لفظ لمسلم : «إن هذا الأمر لا ينقض ، حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة» .

وعند البزار «لا يزال أمر أُمتي قائماً ، حتى يمضي اثنا عشر خليفة» .

وفي لفظ : «لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة» .

وعند أبي داود : «قالوا : ثم يكون ماذا؟ قال : ثم يكون الهَرْج» .

فلما مات يزيد : طلب الأمر أخوه إبراهيم ، فبايعه أخوه . ولم ينتظم له أمر .

فطلب الأمر مروان بن محمد بن مروان -الذي يقال له مروان الحمار- فبايعه بعض الناس في صفر سنة سبع وعشرين ومائة .

ولم يزل في حروب وتخبيط إلى آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة -يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة- فقتل في كنيسة أبي صير . وكانت مدة خلافته : خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام . وهو آخر من ولي الخلافة من بني أمية .

دولة بني العباس :

ثم قامت دولة بني العباس .

وفي هذه السنين : وقعت الفتنة الثالثة التي لم يرقع الخرق بعدها إلى اليوم .

فأول من قام من بني العباس : السفاح ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . فبقي نحو ست سنين ثم مات . وعهد إلى أخيه المعروف بالمنصور . فبقي فيها اثنتين وعشرين سنة . ثم توفي . وعهد إلى ابنه المعروف بالمهدي ، فبقي نحو عشر سنين ، ثم مات .

وقام بعده ابنه : موسى ، المسمى بالهادي ، فبقي سنة وشهراً ، ثم توفي .

وقام بعده أخوه هارون ، المسمى بالرشيد ، فبقي أكثر من عشرين سنة ، ثم مات .

وقام بعده : ابنه المسمى بالأمين -وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور- وبقي نحو ثلاث سنين . ثم قتله عسكر أخيه المأمون .

وقام بعده : المأمون . وهو الذي جَرَّ على المسلمين كثيراً من الفتن في العقائد . فترجم كتب اليونان في الفلسفة . وأظهر القول بخلق القرآن وألزم الناس القول به ، وامتحن الإمام أحمد وغيره من الأئمة رحمهم الله في ذلك .

بدء تأليف الكتب :

وفي أيام عمر بن عبد العزيز : كتب إلى أبي بكر بن حزم بالمدينة : «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاجمعه ، فإني خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء» .

وفي أيام المنصور : شرع العلماء في تصنيف كتب التفسير والحديث . فصنف ابن جريج بمكة ، ومالك بن أنس بالمدينة ، وأبو عمرو الأوزاعي بالشام ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثوري بالكوفة ، ومعمر بن المثنى باليمن .

وصنف محمد بن إسحاق المغازي . وصنف أبو حنيفة النعمان بن ثابت الرأي .

وقبل هذا : كان الأئمة يتكلمون من حفظهم ، ويروون العلم صحفاً غير مرتبة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

***

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب الشريف يوم الأربعاء ، لإحدى عشرة خلت من شهر رجب سنة ١٣٠٩هـ.على يد الفقير إلى ربه . سليمان بن سحْمان غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات . والمؤمنين والمؤمنات .

اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم .

وكان الفراغ من مراجعة هذا الكتاب ومقابلته وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث وتعليق ما رأينا الحاجة داعية إلى إيضاحه يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأخر عام ١٣٩٨ هـ . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

المراجعون